Kadim Akademi SBD
Sosyal Bilimler Dergisi | Journal of Social Sciences

سليمان الطعان (2018), **الطائفة المرشدية في سورية**, *Kadim Akademi SBD,* C. 2, S. 1, s. 90-107

الطائفة المرشدية في سورية

د.سليمان الطعان*

الملخص

الهدف من هذا البحث هو تسليط الضوء على الطائفة المرشدية في سورية, وهي طائفة يجري في أحيان كثيرة الخلط بينها وبين الطائفة العلوية. الطائفة المرشدية هي جماعة منشقة عن الطائفة العلوية, وتعود تسميتها إلى سلمان المرشد, الزعيم الروحي الأول لها. يستعرض البحث الحالي البيئة الاجتماعية والسياسية التي نشأت فيها الطائفة المرشدية وأمكنة توزعها, ويحاول البحث أيضاً أن يرسم صورة دقيقة لعقائدها, وعلاقاتها مع أنظمة الحكم المتعاقبة في سورية.

الكلمات المفتاحية: المرشدية, العلوية, سورية.

Murshidiya Sect In Syria

The main purpose of this paper is to highlight Murshidiya sect in Syria, which is a small sect in terms of the number of individuals. Although a great deal has been written about the sects in Syria, Scholars often ignore Murshidiya, and put it in one basket with Alawites, because of their same political attitude in recent years.

The paper will explore the social and political relations that led to the emergence of this sect, and its schism from the Alawites. It also reviews the beliefs, rites and religious teachings of the sect, focusing on points of disagreement with the Alawites, which make the same sect to divide into two separate groups.

The turning point for the sect was Al-Baath coup in 1963, after that the sect turned to be a "legal one". It presents reasons why pre-Al-Baath Syrian state confronted the sect, and its legal status in the Syria, The paper will shed light on why the sect transformed, during the second half of the previous century, from its roots as a social movement to a religious sect. The paper will mention to the role that sect has played in political and economic life in Syria from its beginning up till now, especially since 2011.

Keywords: Murshidiya, Alawites, Syria.

*جامعة غازي عثمان باشا

المق دمة:
ليس الكلام على الطائفة المرشدية بالأمر السهل لأسباب عديدة, يأتي في مقدمتها افتقار المكتبة العربية لدراسات تتناول نشأة هذه الطائفة والمراحل المفصلية التي مرت بها. والسبب الأهم في رأيي يعود إلى أن الحديث عن الطائفية- وبخاصة الطائفة المرشدية- يقع ضمن نطاق المسكوت عنه في الخطاب الاجتماعي والسياسي المعاصر, فقد كانت كلمة المرشدية مرادفة للهرطقة أو الزندقة في مرحلة الحكم الوطني حتى عام **1963**م, وحين تولى حزب البعث جرى تعميم السكوت عن تناول الشأن الطائفي, وخرج البحث فيه من الدائرة الأكاديمية نهائيًا, ذلك أن الخطاب البعثي السائد يمنع تناول القضايا الطائفية, في محاولة لإخفاء تكوينه الأقلوي, يضاف إلى ذلك ما تختزنه الذاكرة الشعبية من عدم تمييز بين المرشدية والعلوية وباقي الطوائف الأخرى التي ينظر إليها من قبل المسلمين السنة على أنها طوائف خارجة على الملة.

باستثناء كتاب نور المضيء المرشد "لمحات حول المرشدية", فإن أتباع الطائفة لم يكتبوا ما يوضح حقيقة وضعهم, ولا تاريخ نشوء الطائفة وكيفية بروزها, وحتى في هذا الكتاب فإن ما هو مدون فيه يتخذ وضعية السجال بهدف تأكيد أصالة إسلام المرشديين وعروبتهم, إضافة إلى أنه كتاب يرصد سيرة زعماء المرشدية أكثر من عنايته بتوضيح طبيعة المرشدية التي تبقى غامضة إلى حد بعيد حتى بعد قراءة الكتاب. وما عدا هذا الكتاب فإن ما يمكن الحصول عليه من معلومات عن الطائفة لا يعدو أحد أمرين, أولهما ما كتبه الباحثون والدارسون من كتب ودراسات تتناول نشأة هذه الطائفة وطقوسها, وهذه الكتب على أهميتها قليلة, ولا تستطيع أن تفي بالغرض العلمي, لأسباب تتصل بطبيعة الطائفة المتكتمة على عقائدها, وثانيهما: التاريخ الشفوي والمعايشة التي تتيح للباحث أن يحصل على بعض المعلومات التي لا تتضمنها تلك الكتب والبحوث. وفي هذا الصدد, يستطيع المتابع أن يقسم الدراسات التي تتناول الطائفة المرشدية قسمين, يضم القسم الأول الدراسات التي تناولت هذه الطائفة بوصفها حركة فلاحية ضد جور الإقطاع في منطقة الساحل السوري, وعلى رأس هذه الدراسات كتاب "المرشدية في محيطها العلوي وأجواؤها السياسية والاجتماعية **1923-1946**" لعبد الله حنا, ويندرج ضمن هذه الدراسات, وإن بدرجة أقل, السيرة الذاتية لأحمد نهاد السياف, وهي بعنوان: "شعاع قبل الفجر", وبخاصة الدراسة الطويلة التي قدم بها للكتاب جمال باروت. أما الدراسات الأخرى فتقع على النقيض من ذلك, وهي تتناول الطائفة المرشدية من وجهة نظر دينية, ولا ترى فيها إلا طائفة مهرطقة وخارجة على الإسلام. والحديث عن الطائفة المرشدية في هذه الكتب يأتي في سياق عرض الطوائف الخارجة عن ملة الإسلام, أو من خلال عدها جزءًا من الطائفة العلوية. من هذه الكتب على سبيل المثال: كتاب "طائفة النصيرية" للدكتور سليمان الحلبي. وهناك أيضاً كتابان, لم نتمكن من الاطلاع عليهما, وهما :كتاب "مدعي الألوهية في القرن العشرين" لجورج دكر, الصادر في عام **1946**م, وكتاب " الحكم على الرب المرشد" لأحمد عيسى الفيل, والصادر في عام **1947**م. وعنوانا الكتابين يكفيان للدلالة على نوع المقاربة التي يقومان بها, وهي تبدو أقرب إلى الخطاب الرسمي السائدة آنذاك, أو متأثرة به على الأقل. أما بحثنا الحالي فإنه يعتمد كثيرًا على المعلومات التي استطاع الباحث الحصول عليها وتجميعها من المرشديين أنفسهم, وفي ظني أن هذا ما يعطي للبحث فرادته وتميزه عن بقية الأبحاث التي كتبها أناس لم يعايشوا أفراد الطائفة المرشدية, وإنما استقوا معلوماتهم من الكتب والكراسات والمواد الصحفية وغيرها.

Kadim Akademi SBD

إن تناولنا للمرشديين سيبدو أنه يقع في فخ مقاربتهم بوصفهم مجموعة بشرية متناغم ة في الأهواء والسلوكيات, وهذا ما يود الباحث أن يؤكد نقيضه, فهو موقن بأن الجماعات البشرية لا تخضع لمثل هذا المقياس الصارم, ولكن البحث سيركز على التيار المركزي لدى الطائفة المرشدية, دون أن يغالي في إبراز الحالات الخارجة على هذا التيار, والتهويل من شأنها. ففي رؤية البحث أن هناك مشتركات عامة تميز كل مجموعة بشرية عن سواها, وبخاصة إذا كانت هذه المجموعة قليلة العدد, فحينها تبرز تلك السلوكيات والأهواء على نحو أكثر وضوحًا.

يقوم منهجنا في هذه الدراسة على محاولة تبيان العناصر التي أدت إلى ظهور الطائفة المرشدية, وانشقاقها عن المذهب النصيري, وتتبع التطورات اللاحقة التي وسمت علاقتها بالبيئة الاجتماعية وبالسلطة السياسية, مع الإشارة إلى بعض عقائد هذه الطائفة ما أمكن, وبخاصة في ظل عدم وجود تعاليم مكتوبة, وغياب مؤسسات دينية خاصة بالطائفة, وتكتم الطائفة على عقائدها.

الجذور التاريخية والاجتماعية:

ليس من السهولة بمكان تتبع تاريخ الحركات الباطنية, نظراً للطبيعة السرية التي تحيط بها, ولأنها تتشكل عبر تاريخ طويل موسوم بالتكتم والمداراة والخوف, ولذا تتشابك الخيوط بين يدي من يحاول البحث عن جذور تلك الحركات وتتعقد, الأمر الذي يجعل الحكم على بداية معينة ضرباً من التكهن أو الاستسهال الذي يتنافى وروح البحث العلمي. ينطبق هذا الكلام على جذور المذهب النصيري, فالقلقشندي على سبيل المثال يعيد المذهب إلى نصير غلام علي بن أبي طالب[1], فيما يعيده آخرون إلى محمد بن نصير النميري (**850**م), الذي كان معاصرًا للإمام الشيعي العاشر, ويرون أن الفضل بمأسسة الطائفة يعود إلى حسين بن حمدان الخصيبي(**957**م أو **968**م) الذي عاش في فترة الدولة الحمدانية, والذي حوّل تعاليم محمد بن نصير النميري إلى فرقة جديدة تمتاز عن بقية الفرق بعقائدها وطقوسها الخاصة بها [2].

ثمة إجماع لدى أهل السنة والجماعة أن العلويين (النصيريين) كفرة, ولكن الخلاف هو حول توبتهم أهي مقبولة أم لا؟ لعل الإمام الغزالي (**505** هجرية) هو من الأصوات الأولى التي عبرت عن موقف أهل السنة من هذه الفرقة, حيث أدرجهم ضمن "الباطنية", وهؤلاء برأيه لا يعاملون معاملة الكفرة الأصليين, وإنما معاملة الكفرة المرتدين, فهم أشد ضلالًا من الكفرة الأصليين, وجزاؤهم القتل وتطهير وجه الأرض منهم[3].

أما الفتوى الأشهر التي ماتزال أصداؤها تتردد حتى الآن فهي فتوى ابن تيمية. يقول: "هؤلاء الدرزية والنصيرية كفار باتفاق المسلمين, لا يحل أكل ذبائحهم, ولا نكاح نسائهم, بل ولا يقرون بالجزية, فإنهم مرتدون عن دين الإسلام, ليسوا مسلمين ولا يهود ولا نصارى, لا يقرون بوجوب الصلوات الخمس, ولا وجوب صوم رمضان, ولا وجوب الحج, ولا تحريم ما حرم الله ورسوله من الميتة والخمر وغيرها. وإن أظهروا الشهادتين مع هذه العقائد فهم كفار باتفاق المسلمين" [4].

1 - انظر: صبح الأعشى, ج13/ 249.
2 - الموسوعة البريطانية, مادة (العلويون). (بالإنجليزية). يسجل عبد الرحمن بدوي في كتابه "مذاهب الإسلاميين" كتبهم وعلماءهم منذ ظهور حتى اليوم, 1171 وما بعدها.
3 - انظر: فضائح الباطنية, 156.
4 - مجموع الفتاوى, ج35/ 98.

Kadim SBD Akademi

يغي ب العلويون بعد ذلك عن مسرح الأحداث طويلًا, تعزلهم عن التأثر بالمحيط جبالهم الحصينة التي تحميهم من خصومهم أيضًا, وسيستمر هذا الغياب حتى نهاية الدولة العثمانية.

برزت في القرن التاسع عشر المسألة الشرقية وقضية الأقليات الدينية في بلاد الشام, وقد سعت كل الدول الاستعمارية آنذاك إلى إقامة علاقات خاصة مع الأقليات: دعمت فرنسا المسيحيين وبخاصة موارنة لبنان, وروسيا الأرثوذوكس, وإنكلترا الدروز. ولكن الملفت للانتباه أن العلويين لم يكونوا من بين الأقليات التي حظيت برعاية الدول الاستعمارية. هل كانت عزلتهم المتطاولة, أو عجزهم أن يكونوا عنصرًا مؤثرًا في سياق الأحداث هو ما جعل القوى الاستعمارية تحجم عن مد الجسور معهم؟ ربما. غير أن هذا الأمر سيتغير مع دخول الفرنسيين إلى الساحل السوري ابتداء من عام **1918**م.

حتى عام **1918**م كانت جبال اللاذقية تسمى بجبال النصيرية, ثم أطلق عليها منذ ذلك التاريخ اسم جبال العلويين, وبقيت هذه التسمية الأخيرة حتى استلام حزب البعث للسلطة, حين غيرها إلى التسمية المتداولة حاليًا. تسكن هذه المنطقة قبيلة واحدة تتألف من ثلاث عشائر, هي: العمامرة, والدراوسة, والمهالبة. وينتشر عدد من أفراد هذه القبيلة في منطقة تلكلخ وفي قرى القنيطرة. كانت مناطق العلويين مهملة, وكان مفروضًا عليهم في أثناء الدولة العثمانية أن تبقى قراهم بعيدة عن الطرق العامة مسافة قدرها خمسة كيلومترات تقريبًا, حتى لا يشكلوا خطرًا على حركة البضائع والمسافرين.

ترافق انهيار الدولة العثمانية مع صعود نجم القومية العربية التي حمل لواءها مسيحيو لبنان على نحو الخصوص, ثم وجدت فيها كل الأقليات الوصفة السحرية التي تساوي بينها وبين محيطها العربي المسلم (السني), بعيدًا عن الرابطة الإسلامية التي رفعت شعارها الدولة العثمانية.

تنبهت فرنسا للأقلية العلوية, ومنحت أتباعها كيانًا خاصًا بهم أو دولة خاصة بهم, استمر وجودها حتى بداية الأربعينيات من القرن الماضي, وكان لأفراد الطائفة حضور واضح في جيش الشرق الذي سيكون نواة الجيش السوري بعد الاستقلال. فيما يتصل بالحياة المعاشية, كانت حياة العلويين لا تختلف عن حياة كل سكان الريف السوري من حيث الفقر والجهل والأمية, غير أن العلويين عانوا اضطهادًا مركبًا: فهم فلاحون ينظر إليهم سكان المدن نظرة ازدراء, وهم أيضًا علويون في محيط سني. وثمة أمر آخر سيزيد من مرارة إحساسهم العام بالقهر, وسيضيف عنصرًا آخر إلى سردية المظلومية التي مافتئوا يتحدثون عنها, وهو أن الظروف المعيشية دفعت كثيرًا منهم لتأجير بناتهم الصغيرات للعمل عند سكان المدن (السنة), وهو عمل يشبه إلى حد بعيد نظام الأقنان. وهناك قصص تروى عن الاضطهاد الذي تعرضت له أولئك الفتيات, ولاسيما التحرش الجنسي.

مراحل الحركة المرشدية:

ولد سلمان المرشد مؤسس الطائفة عام **1906**م, في قرية جوبة برغال الواقعة في القسم الشمالي من جبال الساحل. وعاش حياة فقر وبؤس, وعمل راعيًا مدة من الزمن, ولم يكن من بيوت الوجاهة ولا الزعامة في تلك المنطقة.

بدأت دعوة سلمان المرشد على نحو مفاجئ, حين تعرض لمرض عصبي, وأشرف على علاجه شيخا القرية اللذان عالجاه بالأدعية وقراءة الأذكار والتعاويذ. وفي أثناء مرضه, كان المرشد ينادي: "يا خضر". أفاد الشاب من الطابع الغيبي المتعلق بالخرافات والأساطير في تلك البيئة المعزولة, فقد انتشر خبره بأنه إنما يقابل الخضر "عليه السلام", وأخذ الناس يفدون من القرى المجاورة

Kadim Akademi SBD

للتبرك بالشاب الذي يشاهد الخضر. تطور الأمر بسرعة كبيرة, وازداد عدد الحضور, الأمر ال ذي دفع الشيخين اللذين أشرفا على علاجه إلى تحديد أمكنة معينة يجري فيها تقديم البركة, مقابل مبالغ مالية معينة.

لم تنل حركة المرشد الرضا ولا القبول من مشايخ الطائفة العلوية, لأنها أخذت قسمًا من أتباع الطائفة, وانفصلت بهم, فهي انشقاق عن الطائفة العلوية (النصيرية), كما أن رؤساء العشائر العلوية رأوا في المرشد تهديدًا لزعاماتهم. ويبدو أن ازدياد نفوذ المرشد -ولا سيما بين الفقراء والمعدمين- لم يرق للوجهاء والمتنفذين من أبناء الطائفة, وترافق ذلك مع اضطراب في المنطقة, الأمر الذي دفع السلطات الفرنسية إلى اعتقاله في عام **1923**م, والحكم عليه بالسجن لشهرين, ونفيه لمدة عامين إلى الرقة.

بعد عودة المرشد من الرقة, ظلت دعوته في فترة كمون حتى عام **1928**م, وفي هذه المرحلة كانت السلطات الفرنسية تقف موقفًا مناوئًا للمرشد وأتباعه, ولكن مع تعاظم نفوذ الحركة وازدياد عدد أفرادها, سعت سلطات الانتداب الفرنسي للتقرب منه, واستغلال دعوته لمصلحتها.

ساعدت السلطات الفرنسية سلمان المرشد في الثلاثينيات من القرن المنصرم, بغية تثبيت حكمها لجبال العلويين, وقد زودته بأدوات كانت بعيدة عن متناول سكان المنطقة, لترسخ في أذهانهم تميز الرجل ومفارقته للواقع؛كان سلمان يلبس ثيابًا فيها أزرار كهربائية, ويحمل في جيبه بطارية صغيرة متصلة بالأزرار, فإذا وصل التيار أضاءت الأنوار من الأزرار. وهناك من يزعم أن أنصاره كانوا يسجدون له في تلك الحالة, وأن المستشار الفرنسي الذي ساهم في هذه الألوهية كان يسجد للمرشد ويخاطبه بقوله: يا إلهي. ويقال: إن الأمر وصل الأمر بسلمان أن اتخذ رسولًا له إلى أتباعه[5]. وهنا ينبغي التوقف قليلًا, فهذه واحدة من القضايا الشائكة بين المرشدية ومناوئيها, فأغلب المناوئين لها حتى من الطوائف الأكثر تسامحًا يرون أن المرشد وضع نفسه في مرتبة الألوهية, وجعل نفسه ربًا أو إلهًا لجماعته, وهو ما ينكره المرشديون الذين يزعمون أن المرشد يتمتع بمكانة عالية وسامية لدى أفراد الطائفة, ولكنها ليست مرتبة الألوهية. وقد اعترف لي أحد الأشخاص الذين عاصروا سلمان المرشد, وهو من قرية جورين في الغاب أن المرشد جعل نفسه إلهًا, ولكنه سوغ هذا الفعل بأن المرشد كان يعيش في بيئة تكثر فيها الغيبيات والجهل والتخلف, وأنه كان مضطرًا لهذا الادعاء كي يجذب إليه أكبر عدد من الناس.

كيف تحول سلمان المرشد إلى زعيم سياسي وروحي؟

يثير هذا الصعود السريع لسلمان المرشد, والتحولات المتلاحقة التي مرت بها حركته خلال مدة زمنية قصيرة, دهشة الكثيرين واستغرابهم, فمن راع للغنم ارتقى المرشد إلى شخص "مبارك" يقابل الخضر, ثم صعد في المراتب إلى شخص ذي سمات خارقة ومفارقة للواقع. غير أنه ينبغي ألا يغيب عن أذهاننا أننا نتحرك في بيئة تشكل الرؤية الغنوصية للكون حجر الزاوية في وعي أفراد الجماعة البشرية, ففي تلك البيئة يسود الاعتقاد بالأئمة والأولياء والمتصوفة, وبقدرتهم غير المتناهية, ولهذا تكثر المزارات, وهي عبارة عن أبنية تقع في أعالي الجبال والتلال, وتحيط بها أشجار كثيفة من السرو والصنوبر والبلوط والسنديان, وتبعث في نفس الزائر الرهبة والخشوع.

5 - انظر: إسلام بلا مذاهب, 344.

Kadim SBD Akademi

ويختلط هذا بالرغ بة في الخلاص والانعتاق, الأمر الذي يدفعنا إلى مجاراة عبد الله حنا في استنتاجه بأن الحركة المرشدية كانت إحدى تجليات الحلم الدفين لدى المضطهدين بعودة المهدي المنتظر, وانعكاسًا لتحركات اجتماعية اتخذت مظهرًا دينيًا يتلاءم مع مفاهيم أتباع الحركة ومعتنقيها[6].

نضيف أيضًا بأن العوامل الاقتصادية المحيطة بالحركة هي ما أسهمت في تحويل سلمان المرشد إلى زعيم سياسي وروحي معًا. كانت منطقة جبال العلويين تعتمد على زراعة التبغ, وكانت الشركة المسؤولة عن تصدير الدخان هي شركة الإمبريال الإنكليزية التي كان تجار اللاذقية من السنة والمسيحيين وسطاء لها في جمع الدخان من فلاحي الجبل, وكان هؤلاء يتلاعبون بأسعار الدخان بحيث ينخفض السعر إلى الدرجة التي يضطر فيها الفلاحون لرهن أرضهم. ولأن الرجل قد تحول إلى زعيم روحي لهم, فقد دفعته كثرة الشكايات من الفلاحين الذين يتبعون حركته (عقيدته) إلى اتخاذ موقف حازم من التجار. وقد استطاع بفضل مكانته بين أفراد طائفته التفاوض مع هؤلاء التجار, وتمكن من الحصول على أسعار معقولة للدخان.

البعد الاستعماري في القضية كان له دور في ازدياد نفوذ سلمان المرشد, فقد كانت الحكومة الفرنسية تحاول تقويض الحركة الوطنية السورية بدعم التيارات الانفصالية الطائفية في جبال العلويين وجبل الدروز, وهكذا كان سلمان المرشد أحد الموقعين على عريضة المطالبة بإبقاء جبل العلويين كيانًا منفصلًا على خلاف ما جاء في معاهدة عام 1936م.

ما يمكن أن نستخلصه بعد هذا العرض أن ثلاثة محددات أساسية, هي: الموروث الديني الغيبي, وشعار المظلومية, والنفوذ الاستعماري, أسهمت جميعها في وصول الحركة المرشدية إلى مستوى واسع من النفوذ, وبخاصة في بداية الأربعينيات من القرن المنصرم.

ازدياد نفوذ المرشد دفع الكتلة الوطنية لترشيحه عضوًا في البرلمان السوري عام **1936**م. ويظهر من سياق الأحداث أن كلا الطرفين كان له غرض من التقرب من الآخر, فالمرشد كان يريد تكريس نفسه زعيمًا في مناطق جبل العلويين, وأن يمد حضوره إلى دمشق والمدن الأخرى, رغم تواضع نشأته وعائلته, والحركة الوطنية كانت بحاجة إلى رجل قوي من جبل العلويين لكي تجذب إليها العلويين الذين كان معظمهم يطالب ببقاء دولة الساحل دولة مستقلة.

وابتداء من عام 1939م, تحولت الحركة إلى تيار مسلح يقوم على نهب المسافرين واجتياح القرى ومطالبتها بدفع الإتاوات, أضف إلى ذلك أن سلمان المرشد قد أمر بجمع أموال الوقف والزكاة والضرائب بما فيها رسوم عقود الزواج ورسوم البيانات الشخصية لصالحه, كما قام بالاستيلاء على أموال الآخرين, ووصل به الأمر إلى وضع نفسه قيمًا على أوقاف المزارات, ووريثًا لكن من يتوفى دون أن يكون له وارث, حتى وصلت أملاكه إلى ما يقارب من تسع مائة هكتار من الأرض, سجلت باسمه وباسم أبنائه وزوجاته. يضاف إلى ما تقدم أن سلمان المرشد استولى على أراضي بعض الملاك, مستندًا إلى أن هذه الأراضي قد أخذت من أصحابها في الفترة الممتدة من أواخر القرن التاسع عشر إلى ثلاثينيات القرن العشرين[7].

6 - انظر: المرشدية في محيطها العلوي, 8.

7 - انظر: المرشدية في محيطها العلوي,110.

Kadim Akademi SBD

أقام سلمان نظامًا عسكريًا أطلق عليه الفداي. والفداي عبارة عن أربع فرق تضم كل واحدة منها أكثر من ثلاث مائة رجل يتقاضى أفرادها رواتبهم من الصندوق الذي أقامه سلمان[8], ومن أعمال السلب التي كان يقومون بها. شملت هذه الأعمال التخريبية كل المناطق التي يوجد فيها أتباع هذه الحركة, والمناطق المجاورة لها في جسر الشغور وغيرها من المناطق ذات الغالبية السنية. وقد تحول سلمان المرشد من فلاح لا يملك شيئًا إلى رجل متنفذ وصاحب أملاك واسعة جدًا, وكان سلمان المرشد يسوغ هذه الممارسات بالحاجة إلى تمويل الحركة ودعم مواقعها وليظهر قائدها بمظهر الوجاهة أمام الآخرين[9].

لكن الحكومة السورية قامت باعتقال المرشد ومحاكمته وإعدامه في 16 كانون الأول عام 1946م, بعد ثمانية أشهر من حصول البلاد على استقلالها. وهناك آراء متعددة حول الدوافع الخفية لإعدامه: ادعاؤه الألوهية, استمرار عصيانه وبقاء تشكيلاته العسكرية دون حل, تأديب الحركات الانفصالية في مناطق الأقليات.

ومهما يكن من أسباب خلف إعدام المرشد, فقد تحول إلى رمز اكتسى بمرور الأيام طابع القداسة, ولكن هذه القداسة اتخذت شكلها الأكمل لدى ابنه مجيب الذي تولى زعامة الحركة من بعده, والذي يعد بحق الشخص الذي نقل الحركة لتتمأسس بوصفها طائفة مغايرة للطائفة العلوية.

بدأت المرشدية, بعد إعدام سلمان, تتخذ لنفسها خطًا دينيًا واضحًا, فقد شرع مجيب المرشد ابن سلمان بتأسيس "العقيدة المرشدية", عبر إقامة الطقوس والأدعية الخاصة, أو ما يطلق عليه في المرشدية اسم "المعرفة الجديدة", ووصل هذا الاتجاه إلى ذروته مع ظهور مجيب وإعلانه الدعوة في الخامس والعشرين من آب عام 1951م, وقد أطلق على ذلك اليوم اسم "عيد الفرح بالله". غير أن المرشد الابن لقي مصير والده بعد عام من هذا التاريخ, وتحديدًا في **1952/11/27م**, لأنه حاول أن يشكل تنظيمًا عسكريًا خارج أجهزة الدولة, وأن يفرض سيطرته على المناطق التي تنتشر فيها الحركة, ولاسيما في جبال الساحل.

آلت الزعامة من بعده إلى أخيه ساجي **(1998م)** الذي اتخذ لنفسه لقب الإمام والمعلم, والذي تنتهي بموته سلالة الأئمة لتتحول الحركة المرشدية إلى تبني خطاب مماثل للمذهب الاثني عشري, وهو القول بالغيبة, أي غيبة الإمام, لأن "ساجي" لم يوص لأحد من بعده بالإمامة.

في كتابه "لمحات حول المرشدية"-وهو عبارة كتاب سيرة للبيت المرشدي- يبالغ نور المضيء المرشد في وصف المحن التي تعرض لها أتباع المذهب على أيدي رجال الحكومة, فمما لا شك فيه أنه قد حدثت مضايقات لأتباع المذهب, وجرى تقييد حرية حركتهم وسجن بعضهم ونفي بعضهم الآخر, ولكن كل تلك الإجراءات التي اتخذتها الحكومة كانت لأن المرشديين أرادوا تكرر سيناريو سلمان المرشد في قطع الطرقات والحلول مكان الدولة عبر فرض الضرائب والإتاوات.

إن تتبع الأحداث التي مرت بها الطائفة المرشدية حتى الانقلاب البعثي في عام 1963م يدفعنا إلى الاستنتاج بأن الحركة كانت تواجه أوضاعًا صعبة على صعيد التنظيم وحرية التعبير والحركة, وأنها كانت تسير في طور الضمور والانكماش نتيجة لمواجهة الدولة لها, وفرض الإقامة الجبرية والنفي على زعمائها, غير أن ما أنقذ المرشدية هو صعود طبقة سياسية جديدة, قادمة من الأرياف, تلعب فيها الأقليات الطائفية دورًا أساسيًا, فمنعت ملاحقة المرشديين, وغضت الطرف عن

8 - انظر: لمحات حول المرشدية,79.

9 - المرشدية في محيطها العلوي,105.

Kadim Akademi SBD

نشاطاتهم, وتوجت تلك الإجراءات التصالحية برفع الإقامة الجبرية عن زعيمهم, والسماح لهم بالاحتفال بعيدهم, وإقامة التجمعات التي كانت ممنوعة في ظل قانون الطوارئ.
توطدت العلاقة بين حزب البعث والمرشدية, ففي حركة أو طائفة تقوم على طاعة الإمام أو المعلم ليس من الصعب التكهن بنتائج التوجيهات التي يرسلها لأتباعه, وقد كان البعثيون بحاجة إلى استغلال المركز الديني للإمام المرشدي, فدخل نتيجة لهذا الاتفاق غير المعلن عدد لا بأس به من المرشديين إلى صفوف حزب البعث, وإلى أجهزة الجيش والمخابرات التي كانت ممنوعة عليهم من قبل. غير أن من الإنصاف أيضًا القول بأن موقف قادة البعث لم يكن موحدًا فيما يتصل بالتعامل مع الطائفة المرشدية, فقد بقي عدد منهم يحمل في داخله وميض نار العداوة القديمة التي تكنها أجهزة الدولة للطائفة, يتجلى هذا في سياسة العصا والجزرة التي اتبعها الحكم مع قادة الطائفة وإمامها.
بقيت الملاحقات بحق المرشديين حتى عام **1965**م, حين أصدر وزير الدفاع آنذاك حافظ الأسد بلاغًا ألغى بموجبه ملاحقتهم, ووصفهم بأنهم فئة من العلويين يجب احترام آرائهم, وأن تنظيم ضبط بحق أحد منهم قد يعرض من قام بتنظيمه لتهمة إثارة النعرات الطائفية والمذهبية. وهي تهمة خطيرة في سورية البعث, وقد تصل عقوبتها إلى السجن لسنوات طويلة.
كانت هزيمة حزيران عام **1967م** نقطة مفصلية في علاقة السلطة بالمرشديين, فالسلطة التي خرجت مهزومة من الحرب لم تعد تبالي بهم كثيرًا , بل انشغلت بترميم نفسها. ومع وصول حافظ الأسد إلى السلطة, اتسعت دائرة حضور المرشديين في وظائف الدولة وبخاصة في محافظتي اللاذقية وحمص.
في الفترة اللاحقة لانقلاب حافظ الأسد في عام **1970**م, ورفع الإقامة الجبرية عن زعيم المرشديين في عام **1972**م, تغيب الحركة المرشدية عن مسرح الأحداث, بعد أن تحولت إلى طائفة دينية تتلقى تعاليم الإمام التي تبقى غير معروفة إلا لأتباع الطائفة الذين لا يبوحون بها مطلقًا لأحد, في حين تماهى الموقف السياسي لها مع موقف الطائفة العلوية التي ناصبتهم العداء في المراحل الأولى.
في ختام هذا العرض لتطور الحركة المرشدية, يمكن أن نوجز المراحل التي مرت بها الحركة إلى ما يلي:
المرحلة الأولى: **(1923-1925م),** وهي مرحلة البدايات وبزوغ نجم سلمان المرشد بوصفه شخصًا يمتلك قدرات استثنائية.
المرحلة الثانية: **(1925-1932م),** وهي مرحلة الكمون والعمل السري.
المرحلة الثالثة: **(1932-1946م)** مرحلة انتشار الدعوة, وتحولها من إلى حركة منظمة بقيادة سلمان المرشد, وسيطرتها على معظم جبال العلويين, تزامنًا مع تحسين العلاقات مع الفرنسيين, ورعايتهم لهذه الحركة بهدف ضرب الحركة الوطنية المطالبة باستقلال سورية, وضم دولتي جبل العلويين ودولة الدروز إليها.
المرحلة الرابعة: خفوت الحركة بعد مقتل إعدام سلمان ونفي أبنائه وبعض أتباعه خارج المحافظة, وظهور بدايات تشكل الحركة بوصفها طائفة عبر ظهور المصطلحات الخاصة بها, كالحديث عن وعد سلمان بقرب ظهور القائم, وفي هذه المرحلة أيضًا بدأ ظهور كلمة "الشعب المرشدي" التي ماتزال تتداول بين أفراد الطائفة أنفسهم حتى اليوم.
المرحلة الخامسة: تحول الحركة إلى طائفة بالمعنى الديني, بعد ظهور مجيب وإعلانه الدعوة في الخامس والعشرين من آب عام **1951**م, وهو العيد الديني الأهم الذي مايزال المرشديون يحتفلون

Kadim SBD Akademi

به, ويسمونه "عيد الفرح بالله". وقد بقي التضييق على المرشديين حتى وصول حافظ ا لأسد إلى الرئاسة, حيث سمح لهم بممارسة طقوسهم .

الاختلافات بين المرشدية والعلوية:

يسود بين العلويين مزيج معقد ومتناقض من المعتقدات والتصورات الدينية, ففي هذه البيئة نجد مظاهر لتأليه الأئمة من آل البيت , مترافقة مع بقايا معتقدات غنوصية, تلعب فيها ثنائية الظاهر والباطن دورًا مفصليًا في تشكيل رؤية الجماعة للعالم من حولها. فمن تلك التصورات على سبيل المثال اعتقاد راسخ بأن لكل إمام بابًا, وأن أول باب كان سلمان الفارسي الذي شغل هذا الموقع عند الإمام علي, مثلما كان محمد بن نصير النميري الذي تنسب إليه الطائفة بابًا للإمام الحسن العسكري[10]. ويسود في هذه البيئة أيضًا القول بالتقمص, وهو الاعتقاد بأن روح الشخص المتوفى لا تصعد إلى السماء بل تحل في جسد مولود جديد.

ساعدت هذه البيئة المشار إليها أعلاه سلمان المرشد, ومن بعده أبناؤه, على تحويل البداية المتواضعة إلى حركة اجتماعية, ثم تطويرها في مرحلة لاحقة إلى طائفة دينية تقوم على تلفيق عناصر ومعتقدات متناقضة وغير متسقة إطلاقًا. وهذه سمة قارة في كل الحركات الغنوصية والباطنية التي عرفها التاريخ.

ولكي نقترب أكثر من فهم التصورات التي تتحكم برؤية العالم لدى أفراد الجماعة, نورد النص التالي المقتبس من الباكورة السليمانية, وهو يلخص إلى حد كبير أسس العقيدة العلوية التي تفرعت عنها الحركة المرشدية:

"اعلم يا ولدي أن السماء هي ذات علي بن أبي طالب, وهي الجنة الباطنة دون الجنة المأوى التي ذكرها القرآن بقوله: تجري من تحتها الأنهار, فالنهر الأول نهر الخمر لونه أحمر, وهو أن السيد الاسم (محمد) يرى السماء حمراء, والنهر الثاني نهر اللبن لونه أبيض, وذلك أن نظرة الباب -أي سلمان الفارسي- فيراها بيضاء, والنهر الثالث نهر العسل لونه أصفر, وهو ان الملائكة –أي الكواكب- يرونها صفراء, والنهر الرابع نهر الماء, وهو نظرتنا, لأننا نراها كالماء, ولكن متى خلصنا من هذه الكثائف البشرية ترتفع أرواحنا إلى بين تلك الكواكب المتلاصقة في بعضها التي هي درب التبان, ونلبس هياكل نورانية وحينئذ نرى السماء صفراء, وإن شككنا فيها في هذه الحياة الفانية تحل أرواحنا في أجسام المسوخية, وليس لنا نجاة إلى أبد الآبدين, وأما باقي الطوائف الخارجة عن هذا الاعتقاد, فمنهم الغنم والوحوش وساير الممسوخات وليس لهم خلاص أبدًا. واعلم أيضًا أن الشمس هي السيد محمد, وهو كل نبي ظهر في العالم من قبة الجن إلى آدم وإلى محمد, كما أخبر بذلك شيخنا وسيدنا أبو عبد الله بن حمدان الخصيبي من ديوانه....واعلم أيضًا أن القمر هو سلمان الفارسي, وهذه الكواكب هم الملائكة الذين كانوا قبل كون العالم, وهم سبع مراتب إحداها تعلو الأخرى, وكبيرهم السيد المقداد الذي هو كوكب زحل واسمه ميكائيل, وأما كوكب المشتري فهو أبو الدر واسمه إسرافيل, وأما عبد الله بن رواحة الأنصاري فهو كوكب المريخ وهو عزرائيل الملاك الذي يقبض أرواح العالم, والدليل على ذلك أن النجم يختفي من مكانه حين مفارقة نفس

10 - انظر: إسلام بلا مذاهب, 322.

Kadim SBD Akademi

الإنسان, وأما عثما ن بن مظعون النجاشي فهو كوكب الزهرة واسمه بالملائكة دردائيل, وأما كوكب عطارد فهو قنبر بن كادان الدوسي واسمه بالملائكة صلصيائيل, وأما السبع المراتب الأخرى فهي درب التبان وهي أرواح المنتقلين من البشر بإقرارهم بعمس [العمس: كلمة السر المكونة من الحروف الأولى لعلي ومحمد وسلمان]"[11].

لا بد من الإشارة إلى أن ما ورد في هذا النص يختلف بهذا القدر أو ذاك عن التعاليم الشفوية لدى أفراد الطائفة العلوية التي يجري تناقل جزء من تعاليمها الدينية عبر الرواية الشفوية, وهو ما يؤدي إلى وجود تغير أو اختلاف في هذه التعاليم بين فترة زمنية وأخرى, أو بين منطقة وأخرى. ومن السمات الأخرى التي نجدها في النص ما يمكن أن نطلق عليه "التفسير الباطني للنصوص", وفيه تتحرر الكلمة من ضوابط السياق, فتغدو حرة الدلالة يوجهها المفسر أو المؤول بحسب رغبته, وهو ما يميز الحركات الباطنية كلها, والتي ترى في النصوص إشارات إلى الأجرام السماوية ومداراتها وحركاتها, وتقيم موازاة بين هذه الأفلاك وأشخاص الأئمة. فعلى سبيل المثال, يذهب بعض النصيرية إلى أن علي بن أبي طالب حالٌّ في القمر, بينما يرى آخرون أنه حالٌّ في الشمس[12], هذا إلى تعظيم الخمر, لأنها من النور, وقادهم تعظيمها إلى تعظيم شجرة العنب وتحريم قلعها كما يذكر القلقشندي[13].

في ظل هذه الشبكة من المعتقدات, والقابلة لامتصاص كل إضافة جديدة بحكم طبيعتها الشفوية من جهة, وجذورها العرفانية[14] من جهة ثانية, ولدت المرشدية التي كانت ستضيف لمستها الخاصة إلى تعاليم الطائفة قبل الذوبان نهائيًا فيها كما جرى للكثير من الحركات السابقة داخل الطائفة, ولكن تضافر مجموعة من العوامل دفعت الحركة لتقفز خارج أسوار الطائفة النصيرية, بدلًا من الذوبان في تيارها العام. ومع ذلك فإن الاختلافات بين الطائفتين قليلة, فهما في النهاية أقرب إلى بعضهما من كل الفرق "الإسلامية" الأخرى.

يعدد نور المضيء المرشد في الكتاب الوحيد الذي كتبه أحد رجالات المرشدية وزعمائها الاختلافات بين المذهب العلوي والمذهب المرشدي كما يلي[15]:

- إبطال القول بالترائي, وهو معتقد علوي يقوم على أن آل البيت جميعهم لم يكونوا من لحم ودم, بل كانوا أنوارًا تتراءى على الأرض, وهم في الحقيقة لا يأكلون الطعام ولا يتزوجون.
- إبطال الذبائح عند المزارات, حيث تعد تلك العادة عادة صنمية.
- محو الصفة الدينية عن بعض الأعياد التي كانت تعد دينية في نظر العلويين, كالقوزلي والبربارة والصليب...

11 - الباكورة السليمانية, نقلا عن إسلام بلا مذاهب, 333-334.
12 - انظر: مذاهب الإسلاميين, 1186.
13 - انظر: صبح الأعشى, ج13/ 250.
14 - العرفانية أو الغنوصية باللغات الأجنبية: مذهب يقوم على أن المعرفة تكتسب بالكشف لا بالعقل, ويقوم على النقيض من المذهب العقلي أو البرهاني. ويزعم أصحاب العرفان أنهم يحاولون التوفيق بين جميع الديانات والكشف عن معناها, بواسطة معرفة باطنية تلقن عن طريق التدريب والمجاهدة. انظر: بنية العقل العربي, 251 وما بعدها.
15- للتوسع في الاطلاع على عقائد النصيرية, انظر: مذاهب الإسلاميين, 1186 وما بعدها.

Kadim Akademi SBD

- إبطال وراثة المشيخة من دون فقه, وفرض امتحان على كل من أراد أن يكون شيخًا.
- إبطال تقديس القمر والشمس, ففي المذهب العلوي حلت روح علي بن أبي طالب في القمر أو في الشمس بعد صعودها.
- عدم تكريم عبد الرحمن بن ملجم, قاتل الإمام علي, فالعلويون يعظمونه لأنه برأيهم خلص اللاهوت (الجزء الإلهي من علي بن أبي طالب) من الناسوت (الجزء البشري من علي بن أبي طالب).
- الطلب إلى رجال الدين بترك اللباس الديني الخاص بهم[16].
- تغيير النظرة السائدة عن المرأة في جبال الساحل, فعند العلويين لا يحق للمرأة أن تطلع على التعاليم الدينية, لأنها ليست مؤهلة لهذه المهمة, فمرتبتها أقرب إلى مرتبة الكائنات الدنيا. أما عند المرشديين فإن المرأة موازية للرجل, ولها الحق بالزواج من أي شخص تختاره حتى لو كان من غير طائفتها.

واستدراكًا نقول: إن من الصعوبة بمكان الجزم بصحة نسبة هذه الإصلاحات إلى سلمان المرشد, ففي ظني أن المرشد الأب لم يكن يمتلك من الوعي الديني, ولا من النضج الفكري, ما يؤهله لتغيير عقائد الناس ومقدساتهم على هذا النحو الذي يصوره نور المضيء المرشد في كتابه, ناهيك أيضًا أنه كان مشغولًا بتدعيم حركته. ولكن الأقرب إلى الصواب أن هذه التعاليم كانت توجيهات من قبل الإمام المرشدي جرى تداولها في فترة لاحقة, حين تحولت الحركة إلى طابع ديني محض, وهي الفترة التي تلت إعدام سلمان المرشد ومقتل ابنه في عام 1952م. ومن خلال معرفتنا بالطريقة التي يتم بها إرسال تعاليم الإمام, نستطيع أن نخمن بأن هذه التعاليم جاءت على فترات متلاحقة, وعلى شكل رسائل كان الإمام يبعثها إلى قرى أتباعه لتحمل إليهم كل ما يراه ضروريًا.

الطقوس الدينية:

ليس من ضمن أفق البحث التركيز على الطقوس والعبادات الخاصة بالطائفة المرشدية, ولكن يبدو من الضروري أخذ لمحة موجزة عن كيفية ممارسة العبادات لدى أتباع تلك الطائفة, بغية الاطلاع على بعض الطقوس لدى الطائفة, ولاسيما أنه لا توجد كتب توضح كيفية أدائها. أود أن أشير أيضًا إلى أن الطقوس الدينية للفرق "الباطنية", كالدروز والنصيرية والإسماعيلية والمرشدية, تبقى غامضة إلى حد كبير, وليس من السهولة بمكان الجزم بصحة المعلومات التي يوردها الباحثون في هذا الصدد, فكل تلك المعلومات عن العبادات مستقاة من العلاقات الشخصية والصداقات مع أفراد تلك الطوائف, ويزيد الأمر صعوبة أن بعضهم يعطي معلومات مغلوطة أصلًا. ولأن تلك المعلومات مستقاة من العلاقات الشخصية والصداقات, أي أنها قائمة على التداول الشفوي, نظرًا لغياب كتاب مدون يبين الطقوس والعبادات, فيود الباحث أن يشير إلى أن ما سيرد هنا من وصف للعبادات يقوم على مزج عدد من الإجابات واستخلاص ما هو ثابت ومكرر بينها. يضاف إلى كل ما سبق أن الطقوس الدينية لدى أغلب الطوائف في سورية تخلت عن الركن الفيزيائي, وغدت أدعية منفصلة عن عمل الجوارح. ولا بد من الإشارة إلى أن الباحث لم ير في حياته أي شخص من

16 - انظر: لمحات حول المرشدية, 46-48. وانظر أيضاً: البحث عن الحقيقة, 42.

Kadim Akademi SBD

الطائفة المرشدية يؤدي هذه الطقوس أمامه, ولكن تواتر الإجابات جعلته يطمئن بعض الاطمئنان إلى أن ما سيرد من عبادات ربما يكون قريبًا من الصحة.

1- الوضوء: يضع المصلي الماء في فمه, ثم يتمتم بقلبه: سبحان من جعل هذا الماء طاهرًا مطهرًا وقابلًا للطهور, ثم يبصق الماء, ويغسل يديه قائلًا: بسم الله ولله ومن الله أبدًا أبدًا أبدًا. يغسل المصلي بعد ذلك وجهه, ويقول: آمنت وصدّقت ورأيت وحققت, ثم يغسل يديه مرة أخرى مرددًا العبارة نفسها: " بسم الله ولله ومن الله أبدًا أبدًا أبدًا ", ثم يغسل رجليه قائلًا عند كل رجل: قمت للدعوة وسرت معها وأنا طاهر, ثم يغسل يديه مرة ثالثة مكررًا العبارة السابقة نفسها, ثم يتمتم بقلبه: سبحان من جعل هذا الماء طاهرًا مطهرًا وقابلًا للطهور.

2- الصلاة: يقف المصلي ويداه مسبلتان, قائلًا: اللهم إني نويت أن أصلي هذا الوقت اتجاهًا نحو الذات, ثم يقول: "قم أيها المؤمن وصل وأشر بيديك للحاضر الموجود, وقم وناد وارفع اليد بآمنت وصدّقت. العزة لله, والعظمة لله, والقدرة لله"[17]. يرفع المصلي بعدها يديه قائلًا: "أبرموا الحزم والعزم والقول والحق والنور والدين والصفاء والجلال للسيد القديم, لا إله إلا الله, سرور العزة من الله. العزة لله, العظمة لله, القدرة لله". ثم يسجد المصلي العدد الذي يريده من السجدات, قائلًا في كل سجدة: الحق كلمة أدرك معناها بإرادة اللاهوت الأعظم, بتحية لذات الله قربًا وبعدًا, وازدهارًا بالسر الأكرم. العزة لله, والعظمة لله, والقدرة لله. يجثو المصلي بعد ذلك على ركبتيه قائلا: "أبتِ: يا روح الطهر, ويا صاحب العظمة, ويا كفة الميزان, ويا قوة الإنسان, مداك أريد, ورباك أقصد, ونواياي أترك, وروحي تنطق, وعظمتي تقول, والكل يسجد أمنًا بين أحضان قدسك. أنت منيتي وأنت بغيتي, أنت مداد العلم وزهرة الخير, فلك الحمد والعزة. العزة لله, والعظمة لله, والقدرة لله. ثم يسجد مكررًا ما قاله في السجدة الأولى, ثم يقف ويقول: الحقيقة أملي, ومراد النور قبتي, وأنا عبد يذل نفسه قاصدًا متعمدًا روح الوعد القديم. العزة لله, والعظمة لله, والقدرة لله. ثم يتلفظ المصلي بعبارات الحمد والشكر لمولاه طالبًا منه العفو والرحمة, ويلتفت إلى جهة اليمين, قائلا: الرحمة عليكم أيها المؤمنون, والخلاص لكم, ثم يلتفت إلى جهة اليسار مرددًا العبارة نفسها.

3- الدعاء المرشدي, وهو على الشكل الآتي: " تسبيح إلى مولانا مجيب بن سلمان المرشد الرب العظيم. مولانا لك العزة والمجد والتهليل والتكبير, سبحانك ربنا, أشياعك الذين يسبحونك وينزهونك عن الصورة البشرية, وإنك أنت وعدتنا قبل أن تصعد إلى سمائك وتجلس على عرشك العظيم, كما أنك وعدتنا وأنت خير من يوعد بأن ترسل على الذين يظلمون من الحكام والبشر النقمة والغضب, وتنقذنا من يدي الأشرار, كما قلت: إنني سأجعل لكل من لدني عونًا ونصيرًا غريبًا عن دينكم وغريبًا عن وطنكم, ليكون سندًا لكم إلى يوم الحساب الأكبر. إننا ثابتون على صحة يقيننا وعلى صحة هذا الدين, ولا نشك بوعودك الصادقة, إنك كريم رحيم يا مولانا يا مجيب المرشد, سبحانك أنت الرب العظيم. ارحمنا من الحكام الأشرار, إنك على ذلك لقدير. لقد بزغت شمس وجودك من المغرب كما

17 - يشير الباحث إلى أن الأدعية ليست بلغة عربية سليمة دائمًا, وأنه نقلها إلى لغة عربية فصيحة.

Kadim SBD Akademi

كان غيابك من المغرب. مولانا أرسل الجحافل والناصرين لإنقاذنا من الظال مين الذين يمنعوننا من عبادتك ومن مديد التسبيح لأهل بيتك إنك على ذلك لقدير. نختتم دعاءنا بكلمة سبحانك أنت الرب العظيم. نقدم هذا التسبيح إلى البهاليل المؤمنين ليذكروا ربهم في كل حين"[18]

هناك مجموعة من السمات في الأدعية الخاصة بالوضوء والصلاة, فهي لا تقال دائما بلغة عربية سليمة, وإنما يلفظها الشخص استنادًا إلى معرفته بالعربية, وإلى الطريقة التي تلقاها بها, ولذلك حاولنا هنا نقلها إلى لغة عربية فصيحة ليسهل على القارئ التعرف إليها, ولاسيما أنها تختلف من شخص إلى آخر. السمة الثانية في هذه الأدعية عدم وجود ترابط فيها, بمعنى أنها كلمات مرصوفة لا يمكن استخلاص معنى منها على الإطلاق, وهو ما يشير إلى المستوى الثقافي الضحل لمن ألفها. والسمة الثالثة وجود صبغة مسيحية واضحة في الأدعية. أما الأمر الأكثر خطورة فهو الدعاء المرشدي, وفيه تأليه واضح لمجيب المرشد, وهو يناقض كل ما يصرح به المرشديون من أنهم يجلون إمامهم ويحترمونه, ولكنه بشر لا إله, فالنص يشير بوضوح وبلا موارية إلى أن مجيب المرشد إله.

إذا تركنا قضايا الطقوس والعبادات جانبًا, وتوجهنا إلى الجانب الأخلاقي في المرشدية, فإن الباحث يستطيع أن يقرر من تصفح كتاب "لمحات حول المرشدية", ومن الحوارات التي أجراها مع عدد من أفراد الطائفة, أن التعاليم الدينية هي مواعظ وحكم يقصد من ورائها تزكية النفوس وتهذيبها, شأنها في ذلك شأن كل العقائد والأديان الأخرى, وهي لا تتضمن أي دعوة لممارسة العنف, بل تحض على التسامح والإخاء والمحبة, وتنظر إلى الأديان كلها نظرة متساوية, فالأصل فيها هو صلاح النفس, والدين الإسلامي هو عبارة عن دعوة إلى الخير, ولكنها دعوة غير ملزمة, فالإيمان هو قرار شخصي يتأتى من اقتناع فكري كامل ترتاح له النفس, ولذلك فإن العبادات الوارد ذكرها أعلاه غير ملزمة لمن لم يقتنع بها.

المعرفة الجديدة التي تبشر بها المرشدية ذات بعد صوفي لا يعنى بالشكليات؛ لأن الأساس الجوهري فيها هو الطهارة الداخلية للفرد, وقد كان أتباع هذه الطائفة فيما يبدو يصلون في مجامعهم ويصومون رمضان, ولكن هذه الفرائض انقرضت أو أن الإمام رفعها عنهم, واستبدل بها تكاليف وفروضًا أخرى. ففي دين لا يقوم على أسس ثابتة, يبدو من المؤكد خضوع الاعتقادات فيه للأمزجة الشخصية والأحوال العامة التي تجعل الإمام يلغي فروضًا ويضع مكانها فروضًا أخرى بحسب الوضع العام.

إذا عرفنا المستوى الثقافي الضحل لزعماء الحركة المرشدية, حيث لم يتجاوز تعليم أفضلهم المرحلة الثانوية, وسذاجة أتباعها وجهلهم, نستطيع أن نخمن المستوى الثقافي الذي ترافق مع نشوء الحركة وصعودها, فالطائفة لم تنتج أي أثر يمكن أن يكون معلمًا دالًا عليها بوصفها طائفة لها رؤيتها الخاصة وفلسفتها الخاصة. إن النقاشات التي دارت بين أتباع الطائفة والإمام "ساجي", ومن قبله الإمام "مجيب", تتسم بغير قليل من السذاجة[19], فقد استغل الإمام جهل أتباعه ليلقي عليهم مواعظ لا تتجاوز في أهميتها ما يمكن أن يدرسه طلاب في الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية. وكمثال على هذه السذاجة, نورد المثال الآتي عن تفسير الإمام لكيفية حدوث الثورات في العالم:

18 - إسلام بلا مذاهب, 348.

19- انظر: البحث عن الحقيقة, 56

Kadim Akademi SBD

إن ملائكة ا لله يُنزلون أرواحًا إلى الأرض, يخلقون بها تغييرات, وبعض هذه الأرواح تنزل لتقوم بثورة عبر تجسدها في أشخاص, كما أن من الممكن أن تتخذ هذه الأرواح من الأفكار مظاهر تتجسد من خلالها لتحدث ثورة في حياة الناس, فأرواح بعض الناس نزلت من السماء لتقوم بثورة على الأرض عبر ما تقوم به الأجساد التي تحملها من اكتشافات وأعمال تؤدي إلى تغيير حياة البشر[20].

وعلى غرار كل الدعوات الباطنية والسرية التي عرفها تاريخ الأديان, جرى اختيار مجموعة من الأشخاص ليقوموا بدور الوسيط بين الإمام وأتباعه, ولاسيما في الفترات التي بقي فيها الإمام تحت الإقامة الجبرية, وأطلق على هؤلاء الوسطاء اسم المستلمين, وكان عددهم أربعة أشخاص. غير أن الإمام طرد هؤلاء من أعمالهم في اللحظة التي جرى فيها رفع الإقامة الجبرية عنه, متعللًا بأنهم لا ينفذون أوامره, ولكن الإشارات التي يستخلصها القارئ أن هؤلاء المستلمين بدؤوا بمخالفة الأوامر الصادرة عنه, ووصل الأمر بأحدهم أن ادعى أن له المكانة الدينية ذاتها التي للإمام[21].

هذا, وتظهر طريقة الاستقبال التي كان يلقاها الإمام "ساجي" النظرة الدينية التي يسبغها أتباعه عليه, إذ توازي مكانته مكانة الإمام الإسماعيلي لدى أفراد الطائفة الإسماعيلية, من حيث مظاهر التبجيل والتعظيم التي يقابله بها أتباعه, من خلال الاحتفالات والمهرجانات التي تضم بشكل أساسي الغناء الذي توليه الطائفة عناية خاصة, فهو الفن الأكثر انتشارًا ورواجًا بين أتباعها الذين يرون فيه عبادة.

أود أن أشير في ختام هذه الفقرة أن الفروض والعبادات تخضع لتعليمات الإمام وتوجيهاته, وأنها عرضة للتغيير بين فترة وأخرى تبعًا للتوجيهات التي يرسلها الإمام لأتباعه عبر الرسائل التي يوجهها إليهم, ولهذا فمن المحتمل أن نلاحظ اختلافًا بين هذا الفرد أو ذاك في طريقة فهمه للعبادة, أو للطقوس الدينية وكيفية أدائها, وهذا عائد إلى اطلاعه على التعليمات الجديدة من عدمه, غير أن وفاة الإمام الأخير في عام 1998م تجعلنا نظن أن هذه العبادات قد استقرت إلى حد ما بعد غياب الشخص الذي يحق له أن يقوم بتعديلها.

الوضعية القانونية:

يبدو أن هناك نوعًا من التوافق غير المعلن قامت الدولة السورية على أساسه, وهو إعطاء الأقليات الدينية امتيازات تمثيلية, في مقابل خضوع تلك الأقليات لسيادتها, ويتجلى هذا في ما يمكن أن نطلق عليه "التحيز الإيجابي" الذي يمنح الأقليات تمثيلًا في مؤسسات الدولة أكبر من حجمها العددي؛ فقد نص دستور عام 1930م, على ضمان تمثيل الأقليات بشكل عادل, ولذلك خصص 42 مقعدًا من أصل 124 مقعدًا للأقليات (نحو 34% من المجلس), وبقي هذا القانون حتى عام 1950م, حين ألغى الدستور التخصيص الطائفي للمقاعد مع الحفاظ على قائمة لغير المسلمين من مسيحيين ويهود لضمان حد أدنى من التمثيل[22]. وتنبغي الإشارة هنا أن المقصود بالطوائف هو الطوائف الدينية لا الأقليات العرقية, فالأكراد والتركمان والشركس ينظر إليهم جميعًا بمنظار ديني لا عرقي.

20 - انظر: لمحات حول المرشدية, 415.

21 - انظر: لمحات حول المرشدية, 85-386- 466.

22 - انظر: المجالس النيابية في سورية ودورها في السياسة الداخلية والخارجية, 49.

Kadim Akademi SBD

هذا فيما يتصل بالحقوق السياسية, أما ما يتعلق بالحقوق الشخصية, فقد استمرت الدولة السورية بعد انتهاء الحقبة العثمانية في الاعتراف بحق أتباع الديانتين المسيحية واليهودية في الاحتكام إلى شرائعهم الخاصة بالأحوال الشخصية, يضاف إليهما أيضًا الاعتراف بأحقية طائفة الموحدين الدروز بمحاكم خاصة بها, وتعد هذه الطائفة استثناء من بقية "الطوائف الإسلامية" الأخرى, فللموحدين الدروز محكمة خاصة يرأسها قاض ينتمي إلى الطائفة الدرزية, تنظر في قضايا الأحوال الشخصية الخاصة بالطائفة. أما الطوائف الأخرى فليس هناك اعتراف رسمي بها, ولذلك تعامل معاملة المسلمين السنة.

النتيجة أن أتباع الطائفة المرشدية, كغيرهم من الطوائف الإسلامية الأخرى باستثناء الموحدين الدروز, ليس لهم وضعية قانونية خاصة, وإنما يعاملون ويقيدون في الأحوال المدنية على أنهم "مسلمون سنة".

فيما يتعلق بتتبع الدولة للمرشديين وملاحقتهم في فترة ما قبل البعث, كانت محاكمات المرشديين وسجنهم تتم وفق القوانين المرعية آنذاك, ففي المرحلة التالية للاستقلال حوكم المرشد بقانون حماية الاستقلال, ولكن منذ عام **1949**م, كانت ملاحقة المرشديين تتم استنادًا إلى المادتين **307** و**308** من قانون العقوبات السوري الصادر في السنة نفسها, وتنص هاتان المادتان على ما يلي:

المادة **307**:

كل عمل أو خطاب وكل كتابة يقصد بها أو ينتج عنها إثارة النعرات المذهبية أو العنصرية أو الحض على النزاع بين الطوائف ومختلف عناصر الأمة, يعاقب عليه بالحبس من ستة أشهر إلى سنتين, وبالغرامة من خمس وعشرين إلى مئتي ليرة, وكذلك بالمنع من ممارسة الحقوق المذكورة في الفقرتين الثانية والرابعة من المادة **65**, أي: جميع الحقوق المدنية.

المادة **308**:

1. يتعرض للعقوبات نفسها كل شخص ينتمي إلى جمعية أنشئت للغاية المشار إليها في المادة السابقة.
2. لا ينقص الحبس عن سنة واحدة, والغرامة عن مئة ليرة إذا كان الشخص المذكور يتولى وظيفة عملية في الجمعية.
3. كل ذلك فضلًا عن الحكم بحل الجمعية ومصادرة أملاكها [23].

ويشير بلاغ وزير العدل ذو الرقم **13**, والصادر بتاريخ **1956/2/28**م إلى أن الدولة السورية تنظر إلى المرشدية بوصفها دينًا غير سماوي, يجتمع أتباعه في أمكنة خاصة دون ترخيص, حيث يجمعون الأموال بهدف تشكيل خطر على المجتمع, كما تشير الأسئلة التي أثارتها اللجنة البرلمانية المكلفة بالتحقيق حول المرشدية في عام **1956**م, إلى أن أتباع الطائفة كانوا يقومون بجمع المال لساجي المرشد وإخوته, وأنهم لا يؤمنون بالقرآن الكريم ولا بالدين الإسلامي, ويحاربون المسلمين في القرى المجاورة, ويقاطعون كل شخص لا ينتمي إلى مذهبهم.

الأفق المستقبلي:

23 - قانون العقوبات السوري. (http://parliament.gov.sy/laws/Decree/1949/penal_18.htm)

Kadim Akademi SBD

تتعدد الم صطلحات التي يطلقها المرشديون على أنفسهم, ففي المرحلة الأولى حين كانت المرشدية حركة اجتماعية عرف المرشديون أنفسهم كعشيرة, لها شيخ أو زعيم هو سلمان, وهذا ما يفسر طريقة المعاملة الحسنة التي قوبل بها سلمان المرشد من جانب عشائر الفرات حين نفي إلى الرقة, إذ عومل على أنه شيخ عشرة مضطهد من قبل السلطات الفرنسية. ثم تلاحقت الاصطلاحات بحسب المرحلة أو الظروف المحيطة, فنجد الطائفة والقوم والجماعة, وتتردد على ألسنة أبناء الطائفة كلمة "الشعب المرشدي". وهو اصطلاح غريب إلى حد ما, وربما كان القصد منه بيان اختلافهم عن الطوائف الأخرى, دون أن تكون له بالضرورة الدلالة القانونية والسياسية التي يحملها اصطلاح "الشعب"[24].

يقدر عبد الله حنا في كتابه "المرشدية في محيطها العلوي" عدد أتباع الطائفة بين ثلاث مائة ألف ونصف مليون شخص[25]. وفي ظني أن هذا العدد مبالغ فيه, ففي ضوء غياب إحصاءات نزيهة ومحايدة للتوزيع الطائفي في سورية, فإن الأرقام التي تصدر عن أعداد الطوائف –وبخاصة في السنوات الأخيرة- تحيل العرب السنة إلى أقلية. وتضخيم عدد الأقليات في سورية نابع أصلًا من الإيهام الذي يوحي به دورها في الحياة السياسية, ولا سيما في أجهزة النظام الصلبة, كجهاز الجيش والمخابرات, ذلك أن اعتماد النظام على الأقليات في كثير من المواقع الحساسة يخلق انطباعًا خاطئًا عن النسبة المئوية الحقيقية للأقليات.

تنتشر الطائفة المرشدية الآن في المناطق ذاتها التي تنتشر فيها الطائفة العلوية, فتقع قراهم على سفوح جبال العلويين في شطحة وفي قرى منطقة الغاب كالرصيف والجيد ومرداش وبلدة جورين, وفي البيطارية والمنشية في ريف دمشق, وفي قرى عين فيت وزعورة والغجر في القنيطرة, وفي بعض قرى حمص وأحيائها, حيث هاجروا إلى داخل المدينة منذ بداية الستينيات, وعاشوا إلى جانب أتباع الطائفة العلوية وبخاصة في حيي كرم اللوز والزهراء, كما أنهم هاجروا إلى داخل مدينة اللاذقية, وسكنوا في حيي قنينيص وبوقا بشكل أساسي.

ليس للطائفة المرشدية حضور مهم في الحياة المدنية السورية بمختلف أصعدتها, فأفراد هذه الطائفة ينتمون بأغلبيتهم الساحقة إلى الطبقتين المتوسطة والفقيرة, فمع الانحدار الهائل في حصة الفرد من الدخل الوطني, وتفتت الملكيات الزراعية نتيجة لازدياد عدد السكان خلال السنوات الخمسين الماضية, اضطر كثير من أتباع الطائفة إلى التوجه إلى المدن وبخاصة إلى حمص واللاذقية للعمل في الحرف والمهن المتاحة والعمل في أجهزة الدولة المختلفة, كما اضطر آخرون للهجرة إلى لبنان للعمل في قطاع الإنشاءات. ونود أن نشير إلى ملاحظة مهمة, وهي أنه باستثناء العرب السنة والتركمان, فإن كل الطوائف والأقليات الأخرى لا تجذبها فكرة العمل في الدول الخليجية التي تستقطب العمالة السورية, ربما لأن هذه الطوائف ترى تقاليد تلك الدول وأنظمتها- وخصوصًا السعودية المستقبل الأكبر للعمالة السورية- مختلفة عن قيمها وتقاليدها, الأمر الذي يجعلها تحجم عن العمل في تلك الدول مفضلة عليها لبنان, الأقرب من حيث العادات والتقاليد. بقي أن أشير إلى أن هامش الحرية الواسع الذي تتمتع به المرأة لدى الطائفة المرشدية يجعلها تشارك في أعمال تدخل في باب المحرمات حتى لدى الطوائف الأكثر انفتاحًا في سورية.

24 - انظر: لمحات حول المرشدية, 351, 369.

25 - انظر: المرشدية في محيطها العلوي, 9.

Kadim SBD Akademi

كما أشرنا من قبل, فقد احتلت الأقليات في سورية منذ مجيء حزب البعث إلى السلطة, وبخاصة مع انقلاب حافظ الأسد, مواقع متميزة في هرم الدولة, زيادة على الانحياز الإيجابي الذي كانت تلقاه أصلًا, وجرى تفضيلها على الأغلبية العربية السنية في أجهزة الدولة الصلبة. وبعد الربيع العربي, وقفت الأقليات الدينية مع النظام, واصطفت معه في حربه. كان هذا الاصطفاف مدفوعًا بالخوف من خسارة الميزات التي تتمتع بها تلك الأقليات, والخشية من وصول تيارات الإسلام السياسي إلى الحكم, وهو ما جعلها تفضل الانحياز إلى طرف النظام. لم تتخلف الطائفة المرشدية عن الانضمام إلى ما يدعى في الأدبيات السياسية العربية بحلف الأقليات في مواجهة الأكثرية السنية, مدفوعة بتاريخ من العداوات مع الحكومات السورية في فترة ما قبل البعث. ففي الوعي المرشدي أن تلك الحكومات كانت حكومات تمثل السنة الذين اضطهدوا المرشديين. هذا على الرغم من أن العلاقة بين الطائفتين العلوية والمرشدية يشوبها التوتر الذي وصل في بعض المراحل إلى الصدام, ولكن الموقف السياسي الذي يتحكم برؤية الطائفتين لموقعهما ودورهما في سورية, وفي أحداث المنطقة بشكل عام, يكاد يكون متطابقًا إلى درجة التماهي. وهو ما يميز كل مواقف الأقليات في سورية.

الخاتمة:

كان من أهم أهداف هذا البحث تناول كيفية تشكل الطائفة المرشدية والمنعطفات التي مرت بها. ولا شك أن البحث في الفرق المعاصرة صعب, لأسباب أشرنا إليها في مدخل الدراسة.

بدأ البحث باستعراض تاريخ الفرقة النصيرية؛ لأنها الفرقة التي ستنشق عنها المرشدية, واستعرض أيضا موقف أهل السنة والجماعة من هذه الفرقة.

ولفهم كيفية تشكل الطائفة المرشدية, كان لا بد من استعراض السياق التاريخي الذي نشأت فيه, والبيئة الاجتماعية والثقافية التي أحاطت بها وبظهورها, وصولا إلى لحظة تبلورها كطائفة مميزة على يد سلمان المرشد في الثلاثينيات من القرن المنصرم. كان على الباحث بعد ذلك أن يتابع تاريخ الطائفة وعلاقتها بالسلطة, وبالمحيط الاجتماعي العام, نظراً لما يحيط بهذا الجانب من غموض, وأن يشير إلى عقائد الطائفة وطقوسها, يسعفه في ذلك اختلاطه بالطائفة, هذا الاختلاط الذي استقى منه أكثر مادته عن عقائد الطائفة وسلوكياتها, في ظل افتقار المكتبة إلى دراسات وأبحاث تتناول هذا الجانب وغيره, نتيجة لعقود من التعتيم الرسمي في سورية على مثل هذا النوع من الدراسات.

المصادر والمراجع:

1. إسلام بلا مذاهب: الدكتور مصطفى الشكعة, الدار المصرية اللبنانية, ط11, القاهرة, 1996م.
2. البحث عن الحقيقة: منذر الموصلي, دار المروة, ط2, دمشق, 2008م.
3. بنية العقل العربي: الدكتور محمد عابد الجابري, مركز دراسات الوحدة العربية, ط9, بيروت, 2009م.
4. شعاع قبل الفجر مذكرات أحمد نهاد السياف: أحمد نهاد السياف, تحقيق وتقديم: محمد جمال باروت, إصدار خاص, 2005م.

Kadim SBD Akademi

5. صب ح الأعشى: أبو العباس أحمد القلقشندي, دار الكتب السلطانية, القاهرة, 1918م.
6. طائفة النصيرية: د.سليمان الحلبي, الدار السلفية, ط2, الكويت, 1984م.
7. فضائح الباطنية: أبو حامد الغزالي, تحقيق: عبد الرحمن بدوي, دار الكتب الثقافية, الكويت, د.ت.
8. لمحات حول المرشدية: نور المضيء المرشد, ط2, بيروت,2007م.
9. المجالس النيابية في سورية ودورها في السياسة الداخلية والخارجية (1920-1943): إعداد: نهاد عبد الكريم, إشراف: د. أحمد طربين, رسالة ماجستير, جامعة دمشق, 1983م.
10. مجموع الفتاوى: أحمد بن تيمية, اعتنى بها وخرج أحاديثها: عامر الجزار وأنور الباز, دار الوفاء للطباعة, ط3, المنصورة, 2005م.
11. مذاهب الإسلاميين: عبد الرحمن بدوي, دار العلم للملايين, بيروت, 1997م.
12. المرشدية في محيطها العلوي وأجواؤها السياسية والاجتماعية (1923-1946): عبد الله حنا, المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات, ط1, بيروت, 2015م.
13. الموسوعة البريطانية (بالإنجليزية).
14. موقع مجلس الشعب في سورية
(http://parliament.gov.sy/laws/Decree/1949/penal_18.htm)

Kadim SBD Akademi